الكنيسة المشتعلة

بنار الروح القدس

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

www.coptology.org

٢

الكنيسة المشتعلة بنار الروح القدس

لا نزال ندخل الهياكل بدون الأحذية. ترتيبٌ شاهده كاسيان عندما زار الإسقيط، وشَرَحَه القديس كيرلس الكبير بأن جلد الحيوانات الميت لا يدخل حيث ينبوع الحياة الغزير.

الرمز القديم، وهو العليقة المشتعلة، كان أول همسة إلهية عن تجسد الابن الوحيد، وظلت تقوى الكنيسة تقول إننا نخلع الأحذية؛ لأننا ندخل إلى مكان استعلان الابن الوحيد. وسبق الهيكل، التكوين الإلهي للظهور الإلهي، حيث الأردن (المعمودية)، وبيت لحم، وعرش الثالوث الهيكل والمائدة السمائية. ليست هذه طبوغرافيا للتسلية، بل يربط الروح القدس بين أماكن الاستعلانات الإلهية. وغالباً، ينسى الذين لم يعاينوا "تكريس كنيسة" أن هذه الأماكن تُقدَّس بزيت المسحة الإلهي "الميرون". هو نفسه، أي الميرون الذي يقدِّسنا بعد المعمودية، ويقدِّس ماء المعمودية، والأيقونات، والمذابح، والهياكل، مسحة واحدة تقدِّس الكل لكي تشتعل الكنيسة بنار التقديس.

يجمعنا الروح القدس الواحد الذي سَكَنَ في الآباء الرسل والشهداء وقديسي الكنيسة، ونحن ندخل إلى "مجمع" هؤلاء في التسبحة، بل وقبل قراءة الأسفار في طلب الشفاعات؛ لأن بولس هو الذي يقرأ شهادته لنا: "لكي نعلم ونفهم ما هي منفعة تعاليمك المقدسة التي قُرأت علينا الآن بواسطته ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲟⲧϥ وكما تشبَّه بك أنت يا رئيس الحياة. هكذا نحن أيضاً اجعلنا مستحقين أن نكون متشبِّهين به في العمل والإيمان ممجِّدين اسمك القدوس ومفتخرين بصليبك كل حين" (سر البولس).

يجمعنا ذات الروح، ولذلك نطلب شفاعتهم أو طلباتهم، لا فرق بالمرة بين الكلمتين؛ لأن أحد معاني كلمة شفاعة، هو "طلبة". وتخصيص كلمة "شفاعة" لأم النور وكلمة "طلبة" لباقي القديسين هو عبثٌ لغوي بلا أساس لاهوتي؛ لأن أم النور مع خورس الشهداء في شركة واحدة ليس فيها درجات أعلى وأدنى؛ لأن هذا يجوز أن يكون خاصاً ببعض المؤسسات، وليس بالكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية.

نحن ندخل الكنيسة وعلى كياننا -الروح والجسد- أختام الميرون، الــــ ٣٦ رشماً. نحن ندخل، وفي داخلنا ذات الروح القدس الذي قدَّس بيت لحم (مكان إعداد القربان)، والأردن (مكان حميم الميلاد الجديد)، والهيكل حيث "عمانوئيـــل إلهنـــا في وسطنا"، وندخل إلى ذات خورس القديسين، الأعضاء الحية في جسد المسيح الواحد، الكنيسة التي لا يقوى عليها الموت؛ لأن الرب "بالموت داس الموت".

تلك النار الإلهية السرية، أي الخفية التي يحس بها الذين اشتعلوا بالمحبة الإلهيــة للثالوث الذي سكب محبته فينا بالروح القدس (رو ٥: ٥).

سيمفونية المحبة الثالوثية:

تبدأ هذه السيمفونية باستعلان: "مجداً وإكراماً"، أي المجد والكرامة الخاصــين بالثالوث. و"سلاماً"؛ لأن المصالحة أبدية. و"بنيانـــاً لكنيســـة الله"؛ لأن شـــركتنا في الثالوث تبني حياتنا. وتصرخ القلوب المستنيرة بنور الشركة بتماجيد الثالوث؛ لأننـــا أتينا بالتقدمة التي قدَّمها رئيس الكهنة يسوع المسيح الذي منه نأخذ "الحِل" (تحليـــل الخدام)؛ لأننا ندخل إلى ذات الخدمة التي نالها وخدمها معلمي الإيمان.

يفتح الروح كنوز الحكمة من الأسفار، ونسمع شهادهم، ونطلب ذات الحياة التي أخذوها من الثالوث القدوس: "اجعلنا مستحقين نصيبهم وميراثهم، وانعم لنا كل حين أن نسلك في آثارهم ونكون متشبِّهين بجهادهم" (سر الكاثوليكون).

التقدمة على المائدة -والكلمة اليونانية الأصل "ابروسفارين" تعني (تقدمـــة)، وتغطية التقدمة لها سبب تاريخي معروف، وهو وجود الموعوظين.

لقد أقامنا المسيح، بل وأجلسنا معـــه في الســـماويات (أف ٢: ٦) ونـــداء الشماس: (للصلاة قفوا) لا يخص الوقوف، بل القيامة؛ لأن الخبر السار، الإنجيل هـــو بشارة الحياة: "أيها الرب إلهنا الذي خلَّصنا وأدخلنا إلى هذه الحياة" (خولاجي الـــدير المحرق ص ٢٢١).

وإذا تسألنا: متى استعملت الكنيسة: "قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الذي لا يموت ... "؟ العبرة في الاستنارة وليس التاريخ؛ لأن ما يضاف عبر العصور، لـــيس

بمزاج أو بمشاعر غامضة، أو مجرد استحسان، بل هو "فصلة" في ذات النغم الإلهي؛ لأننا نتقدس عندما نقدِّس، أي عندما نعترف بخصوصية الثالوث الذي لا شبيه له. وهو تقديس الذي لا يموت؛ لأننا نحن في المسيح لا نموت. القدوس أعطانا شركةً في قداسته (عب ١٢: ١٠). نحن لا نرتِّل كلمات سبق حفظها، بل نرتل لنعمةٍ أخذناها، عاملةٍ فينا، وهي حسب تقوى الكنيسة: "لا نتكل على برنا، بل على رحمتك هذه التي أحييت بها جنسنا" (صلاة الحجاب في القداس الباسيلي).

ينادي الشماس الشعب: "قفوا للصلاة"، وهي دائماً تسبق الأواشي. نصلي من أجل سلامة الكنيسة، الكائنة من أقاصي المسكونة؛ لأن أمواج العالم تضربها، فلا تنتهي شهادتها ولا تسقط في الارتداد، ونطلب ذات الثبات للخدام لكي يكمل "تقدمه في الخدمة"، وقيادة الكنيسة، وهي المعنى الصحيح لعبارة "رئاسة الكهنوت"، وليس رئاسة الكهنة، والدليل على صحة ما نقول هو في كلمات الأوشية: "مكملاً رئاسة الكهنوت ... مفصلاً كلمة الحق باستقامة راعياً شعبكَ بطهارةٍ وبر". وتكمل هذه الأوشية، أوشية الاجتماعات.

"انصتوا بحكمة الله .. استمعوا إلى التعليم الصحيح المودَع في قانون الإيمان؛ لأننا على أساس الإيمان والاعتراف، نبقى لكي ننال ما دُعينا إليه.

المصالحة الثالوثية:

أرسل الآب ابنه لكي "بظهوره المحيي" يهدم "الموت الذي دخل بحسد ابليس".

لم يكن الموتُ عقوبةً من الله، بل سعى إليه الإنسان حسب (سفر الحكمة ٢: ٢٣ و ٢٤ وايضاً تجسد الكلمة فصل ٤) وعندما هُدم الموت بالظهور المحيي، امتلأت الأرض من سلام سماوي لا يمت بصلةٍ لأي نظام أرضي، ولا هو عطية أرضية، بل هو تلك العطية التي من أجلها تسبح الملائكة الثالوث القدوس وتعطي له المجد؛ لأن الله سُرَّ بالبشر من جديد؛ لأن الساكن في وسط البشر هو الكلمة الذي تجسد وحلَّ بيننا.

مسرةُ الله أن يملأ قلب الإنسان المضطرب من السلام، وأن يخدم الإنسان، وأن

يطهِّره من:

- الدنس،
- ومن الغش،
- ومن الرياء،
- ومن كل فعل فيه عودة للسيرة السابقة،
- ومن محاولة الانسان أن يكون صورةً إلهيةً بدون الله، وهذا هو تذكار الشر الذي جلب الموت.

هذه المصالحة التي يهبها الله هي التي تفتح طريق الأكل من شجرة الحياة: "لكي ننال بغير وقوع في دينونة" من الموهبة السماوية الجسد والدم التي لها ذات صفات الألوهة:

- أولاً: غير المائتة.
- ثانياً: السماوية.

لأننا ننال جسد المسيح الممجَّد الذي غلبَ الموت، وداسَ الجحيم، وحَكَمَ على الدينونة بأنها ليست هي الدواء الواهب الحياة.

والاستعلان الإلهي في المصالحة تعبِّر عنه أُنشودة:

"تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح
وأضيء علينا بلاهوتك الفائق (العالي)
ارسل علينا هذه النعمة العظيمة
التي لروحك القدوس المعزِّي.

(أسبسمس آدام بعد صلاة الصلح - خولاجي الدير المحرق ٢٤٧).

✠ ✠✠ ✠✠

"نشكرك يا يسوع، يا واهب الروح القدس، ينبوع الحياة، الروح القدس الذي أخذته من الآب لأجلنا عندما مُسحت في الأردن، لا لكي تحتفظ به لذاتك، بل تعطيه لنا لكي يكون لنا شركة معك في ذات مسحتك" (١يوحنا ٢: ٢٠).

شرحٌ للتسليم الكنسي

تغطية يدي الكاهن أثناء الصلاة

تغطية يدي الكاهن أثناء الصلاة بعد أن يرفع الابروسفارين، ليس كما ساد في زماننا عن أن هذه التغطية هي عري آدم، فلا علاقة بين عري آدم وخدمة السر، وإنما لأن اليدين اللتين تخدمان السر هما يدي المسيح رب المجد رئيس الكهنة، وليس يـــدي خديم السر. هكذا يقول ذهبي الفم نفسه: إن الكاهن الخديم يقدم يديه وفمه للـــرب أثناء الليتورجية.

نداءُ الشماس واستعادة الشركة:

حسب الأصل اليوناني هي ما قُدِّمَ حسب التسليم لأن тропоп تعني ما هو ثابت ومعروف وحسب الحدود. وهنا نحن نقدم ذواتنا لمن قدَّم ذاته، ونقف برعـــدةٍ؛ لأننا سندخل الخدمة السماوية التي يخدمها الثالوث بالابن في الروح القدس؛ لأننــا في اعترافنا بالمسيح الرب قد استدرنا من الغرب إلى الشرق، عندما قبلنا الرب يســوع في المعمودية: "إلى الشرق انظروا"، وهو النظر أو الفهم حسب الاعتراف، وهو ما يؤكده مرد الشعب:

- رحمة السلام الذي وُهِبَ في المصالحة
- وحياتنا التي صارت ذبيحة التسبيح للرب.

لذلك يرشم الخديم الشعب بعلامة الصليب؛ لأن المذبوح لأجلنا هو معنا يقبل ذبيحة حياتنا، كما يقبل ذبيحة حياة الخديم، فهو معنا "ومع روحك أيضاً".

ويطلب الخديم وحدانية الذين يخدمون معه في الصلاة:

"أين هي قلوبكم .. هي عند الذبيح الرب يسوع".

عند ذلك، "فلنشكر الرب"؛ لأنه وحَّدنا به وبذبيحة حياته.

"مستحقٌ" وردت في سفر الرؤيا في تسبيح السمائيين (رؤ ٥: ٩). والاستحقاق هنا ليس مكافأةً ولا هو هبة، بل هو الانجاز العظيم الذي تم بتحرير الخليقة من فساد الموت، وسيطرة دينونة الموت، وفيض المغفرة.

ورغم ما أصاب كلمة "عادل" من تشويه، إلا أنها بعد كلمة "الإنجاز العظيم"، تصبح ردَّ ما سقط، وإعادة المائل إلى وضعه الصحيح؛ لأن العدل هو العدل الشافي الذي لا يعرفه البشر.

حقاً "مستحقٌ الرب"؛ لأنه خلَّصنا وأتى بنا إلى خدمة الخلاص.

إن عظمة التدبير تستعلن في أن العظيم خالق السموات والأرض، هو الآب "أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح"، حيث لا يوجد فصل بين الخلق والخلاص. وأن مخلصنا يسوع المسيح هو الخالق مع الآب؛ لأن قدرة المخلص هي ذات قدرته كخالق لنا.

وعندما نقف في معية القوات السموات مرة ثانية "إلى الشرق انظروا"، فهذا نداءٌ يسبق شركتنا مع الشاروبيم والسارافيم. فقد فُتِحَ الفردوس، وتمَّت المصالحة مع الكاروبيم المتقلد السيف الناري الذي كان يمنعنا من الأكل من شجرة الحياة، ولذلك نحن نسمع ذلك التسبيح، ومعهم نرتِّل: "قدوس. قدوس. قدوس ...".

إن قوة التدبير تستعلن في أن العظيم هو الذي يأتي لكي يخدمنا، فالعظمة والقوة هي في تدبير الخلاص.

لم تتركنا عنك أبداً (إلى الانقضاء):

عندما افترق التعليم السائد عن التسليم الكنسي المودع في الليتورجيا، تسللت أفكارٌ كثيرة خاطئة، ودخلنا في تعليم نظري أبعد الإيمان عن الممارسة.

والمثال اللافت على ذلك هو أنه لا يوجد في التسليم الكنسي المدوَّن في الليتورجيات الأرثوذكسية أية إشارة إلى انفصال الله عن الكون والإنسان بعد السقوط، وإنما الثابت هو أنه حتى بعد أن "سقطنا من الحياة الأبدية .. لم تتركنا عنك أيضاً ϣⲁ ⲉⲃⲟⲗ إلى النهاية، أو أبداً، أو إلى الانقضاء". والدليل الباهر على ذلك

هو مجيء الأنبياء. وبالرغم من أن الإنسانية لم تكن قد تابت عن خطاياها، ولكن "في آخر الدهور أو الأيام" ظَهَرَ، أي استُعلِن المخلِّص، رغم فساد الانسانية، أو حسب شرح الرسولي العظيم: "كان تجسده هو رد فعله على سقوطنا" (تجسد الكلمة).

والعبارة كافية: "ظهرَت لنا نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت". فنحن لم نطلب هذا الظهور، ولكن تطوع ربُّ المجد بالمجيء إلينا متجسداً من البتول.

تجسد وصار إنساناً مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها:

بشارةُ الخلاص، يعبِّر عنها تقديم البخور في الشورية. فدورات البخور في باكر وعشية ليست طقساً غريباً مبهماً لا معنى له، بل حَفِظَ لنا الطقس قبولنا للتجسد في تجسيد الإيمان في اتحاد النار بالفحم، وهو التشبيه الذي ورد عند أسد الإسكندرية كيرلس الأول – ختم الآباء، كما يوصف في عدة مصادر تاريخية، بما فيها المصادر البيزنطية.

فالكنيسة تقبل وتعيش الاتحاد الأقنومي المستعلَن في عدم الفساد الذي يعبِّر عنه البخور، وهنا تجسيد للاعتراف الحقيقي؛ لأننا عندما نقدِّم شيئاً، فإن الإرادة والإدراك والعقل والقلب يكون منشغلاً بما نقدم، لا سيما إذا كان ما نقدمه هو اعترافنا بتجسد الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

أسلم ذاته فداءً عنا إلى الموت:

لو راجع الذين يصرخون بتعليمٍ عن الكفارة والفداء، لو راجعوا عبارة القداس، لوجدوا أنها ضد تعليم العصر الوسيط.

أولاً: لأن الرب "أحب خاصته الذين في العالم". هذا عمل محبة، وليس ضرورة فرضها العدل الإلهي حسب تُرَّهات العصر الوسيط الذي يدافع عنها بكل شراسة كل من المطران وأستاذه المتنيح.

ثانياً: "أسلم ذاته فداء عنا إلى الموت"، وهنا لا يوجد أي أثر حق لفكرة الموت النيابي أو الموت النيابي العقابي؛ لأن الرب هو الذي أسلم ذاته

ⲁϥϯϩⲓϥ ⲙⲙⲓⲛ ⲙⲙⲟϥ إلى الموت؛ لكي يهدم الموت، وهو ما سبق واعترفنا به في صلاة الصلح: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لأبنك الوحيد ...".

ثالثاً: كان الموت يملك علينا، وكنا نحن مثل عبيدٍ مربوطين به، أو حسب ترجمة أولاد العسال: "ممسكين به مباعين من قبل أو بواسطة خطايانا". هذه هي سيادة الموت، وحكم الموت، ومُلك الموت علينا كما شرحها رسول الرب في (رو ٥: ١٢-٢١)، ولاحظ: "ملكت الخطية بالموت أو في الموت".

رابعاً: وهو خاتمة اطلاق سراح العبيد: "نزل إلى الجحيم"؛ لكي يطلق سراح الأسرى، وبعدها مباشرةً "قام من الأموات".

إن خطورة التعليم بدفع الديون تبدو في أن القائلين بهذا التعليم والمدافعين عنه لم يدركوا أنهم جرَّدوا الآب والابن والروح القدس من الصلاح والجود والرحمة، وجعلوه أسيراً لحكم العدل بلا إرادة حُرةٍ، وصار مثل أي مخلوق خاضعٍ لحكم العدل.

(يتبع)